مَا تَشَابَه رَسْمُهُ وَاخْتَلفَتْ قِرَاءتُه

دِرَاسَةٌ فِيلُولُوجِيّة

د. حكيم موحان عواد(*)

مُلَخص

يَتموضَعُ هذَا المَسْـرَدُ العِلميّ فِي أمْشَـاجِ الدّراسَـاتِ الأركيُولُوجِيّة الّتي تَرْتَسـمُ مَلامِحُهَا مِنْ خِلالِ الانتقالِ بتلكَ الشّخوصِ المدوّنةِ مِنْ أحيَازِهَا التّاريخيّةِ المُتطورَةِ بِفعلِ الزّمنِ إلى حالةِ السّكُونِ المُستقرّةِ بَعدَ اختراعِ الأنظمةِ المُتطوّرِةِ للتدوين، فهوَ بَحْـثٌ فِي أصَالةِ الكَلمـةِ وَليسَ فِي تَعدّدِ أوْجهِها؛ وَلِكَي تَكـون هَذه المُدَونَةُ مِفتَاحا لِلوُصُولِ إلى كُلّ القِرَاءاتِ الفِعليّةِ الّتي نَزَلَ بِهَا النصُّ الكَرِيمُ، اقْتَضَتْ أنْ يَشْـتَرِكَ فِي بَيَانِها أَكْثَرُ مِن عِلمٍ وَفنّ، فَالأنْظِمَةُ الكِتَابِيّةُ وَالفَونُولُوجيا وَنِشُوءُ الخُطُوطِ وتَطوّرِها عِبَارَةٌ عنْ أحْيازٍ يُحَاولُ البَحثُ إثبَاتَ أصَالةِ النّص مِنْ خِلَالِهَا، وَهي أحْيَازٌ رُبّمَا تَخرِجُ فِي البَحثِ عَنْ المَألوفِ والشّائِعِ مُستَعِينَةً بِطَبِيعةِ التّدوينِ فِي السّاميّاتِ وغَيرِها..

الكلمات المفتاحية: فيلولوجيا، رسم قرآني، أركيولوجيا، قراءات، أصالة.

(*)جامعة ذي قار – كلية العلوم الاسلامية .

أوّلا: مَفْهُومُ الفيلولوجيا

للفِيلُولُوجيا مَسَاحَةُ عَمَلٍ تَقتَضِي عَلى ضَوْئِهَا الوُصُول إلى مَآلِ المُفْرَدَاتِ مُشْتَبِكَةً مَع المَوْرِدِ الثّقَافي الّذِي أَنْتَجَها، فَهيَ إذَنْ تَدرسُ اللّغةَ فِي مَجْمُوعِ عَلاقَاتِها الثّقافيّة، وَيمتدُ إلى كُلّ أوْجِهِ الرّبْطِ المُمْكِنَةِ بِطَرِيقةِ حَيَاةِ البَشَرِ (تَقاليدٍ، مَوضُوعاتٍ فَنيّةٍ...)، وَهكذا يَسْتَعملُ اللّغةَ وَاللّسانيّات مُرْتَبِطةً بالتاريخ وَعِلْمِ الآثَارِ، وَدِرَاسَةِ العَادَاتِ الشّعبيّة، وَعِلْمِ الدّينِ.. إذْ تُكَوّن الفيلولوجيا الائْتِلافَ بينَ اللّسانيّات وّالتاريخ. فاللّغة عِندَهَا أَدَاةٌ لِلاستدْلالِ عَلى ثَقافاتِ الأمَمِ وحضارَاتها، وبِواسِطةِ الفيلولوجيا هذهِ يَستطيعُ البَاحثُ الوُقُوفَ عَلى أصَالةِ المُفرَدَةِ أوْ مَا ترشّحَ عَنْهَا مِن سِلُوكٍ وَتَرْبيَةٍ وَدَلالةٍ.

لقَدْ تَغَايَرَ مَفهُومُ الفيلولوجيا تَبَعًا لِتَداخُلِ العُلُومِ الّتي تبحثُ فِيها الأخيرةُ، فهيَ أشبهُ بالمسبارِ أوْ الضّوءِ الّذي يُستدْعَى لِحلّ جُملَةٍ منَ الإشكالياتِ الّتي تَطرأُ عَلى تَحلِيلِ النُّصوصِ وإثبَاتِ أصَالتِها، ومِنْ أجلِ ذَلكَ عَرّفَها تمّامُ حَسّان بأنَّها: دِراسةُ النُّصوصِ القَدِيمةِ، مِنْ حيثُ القَاعدةُ ومَعَانِي المُفْرَداتِ، وَمَا يتّصلُ بِذَلكَ مِنْ شُروحٍ ونقدٍ وإشاراتٍ تاريخيّة وَجغرافيّة.. إلخ[1]

فتُحاولُ الفيلولوجيا إعادةِ تموضعِ المورِدِ الصّحيح مِنَ المَوردِ المُشتبهِ بالخَطأ أوْ التّصحِيفِ أوْ التّحرِيفِ. فالفيلولوجيا: هِيَ دِرَاسةُ النُّصوصِ عَلى نحوٍ يُمهّدُ لِدراسةِ الحَضارةِ القَدِيمةِ، مَع مُراعاةِ فَتراتِ التّطورِ الإنسانيّ فِيها، سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وأدبيًّا، باستيعابِ عقليةِ الشُّعوبِ وتطورِهَا الثّقافِي وَمظاهرِهَا اللُّغويّة[2] يرِدُ مُصطلحُ الفيلولوجيا في الثّقافةِ العرَبيّة وافدًا أجنبيًا قابَلوهُ بِمصطلحِ فقهِ اللّغةِ، غيرَ أنّ دَلالتَه العربيّة لا تُوحِي بِذلكَ المَفهومِ، وإنّمَا نَظرَ المُترجمونَ العَرب إلى الناتجِ الدّلالِي والاجرائِي الّذي تُمارِسُهُ الفيلولوجيا، فهي تَدخلُ فِي اللّغة وفنونِها، صَرْفِهَا ونحوِها، وَتاريخِ آدابِهَا، أيْ أنّها تُعالجُ النّصوصَ المُدّونةِ لأيّ ثقافةٍ بعيدا عنْ مُهيمنَاتِ القَداسةِ وأصالةِ إطلاقِها ووجودِهَا، ومِنْ ثَمَّ الوُصولُ إلى المَآلاتِ والمَقاصدِ الحقيقيّةِ لتلكَ المُدوناتِ، فالهدفُ من العَملِ الفِيلُولُوجِي: جَعلَ القِراءةَ منطلقًا يُمكّنُ القارئَ مِنْ مُعايشةِ النصّ، والعيشِ معهُ بروحِ كاتبِهِ الأصليّ.[3]

إنَّ عمليةَ محاكمةِ المُدوناتِ القَديمةِ بأساليبَ ووسائلَ حديثةٍ تكشفُ بطبيعةِ الحالِ مدَى فاعليةِ تلكَ الوسائلِ في الوصولِ إلى المَوردِ الصّحيحِ الذي وردتْ بِهِ تلكَ النّصوص، إذْ يتمتعُ حقلُ الفيلولوجيا بخاصيّةِ المُحافظةِ على خُصوصيّةِ العُلومِ الّتي يَتناولُها في الدّراسةِ والتّحقيقِ، فهوَ

(١) يُنظَر: الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب – د. تمام حسان/ عالم الكتب، القاهرة- ٢٠٠٠م : ٢٣٥

(٢) يُنظَر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي، د. يوسف الكلام – دار صفحات/ دمشق سورية/ ط١/ ٢٠٠٩م : ٣٧

(٣) يُنظَر في هذا المورد: النثر الفني في القرن الرابع الهجري (زكي مبارك) مؤسسة هنداوي/ المملكة المتحدة/ ٢٠١٣م :٢/ ٣٧، ويُنظَر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس: ٣٨

يَدفــعُ عَمليةَ التّماهي بينَ العُلــومِ رغمَ تناولِه لها بشيءٍ من التّدَاخُلِ، واللّسانيات لاسيّما التّاريخيّة منها هيَ منْ تقومُ بهذهِ الفَاعلية؛ فللقراءةِ اللّغويةِ الألســنيّةِ قِيمــةٌ لا تُضاهَى في التقشّــفِ العلميّ والدّقــةِ والصّرامــةِ، فهــيَ تَجبرنَا عَلــى أنْ نبقَى مَحصورِيــنَ داخــلِ الحدُودِ الصّارِمــةِ للإمكاناتِ التّعبيريّةِ للغةِ، مع استبعادِ كُلّ الأحكامِ المسبقّة الصّريحةِ والضمنيّــةِ الّتي تخلعها كُلُّ قراءةٍ على النصّ.(٤)

لقد اســتبعدَ رائدُ اللّســانيّات سوسير الكتابةَ من حقــلِ العلمِ اللّســانّي؛ لأنّــهُ يــرى أنَّ الكتابَةَ حاملٌ آيديولوجي لا يستطيعُ التّخلّصَ من عَوالِقِ التّاريــخِ والموجّهاتِ الفكريّــةِ والثّقافيّة لأيّ أمّةٍ تنشــأُ فــي حظيرتِها الكِتابــةُ، فالكتابةُ لم تنشــأْ من العَدمِ، بل ســبقتْهَا مواردُ فيلُولُوجيّة متنوّعة، أمثالُ الأداءِ الصّوتي، وتشــكّلِ الرُّموزِ، إلاّ أنّ هذهِ الكتابةَ ورغمَ الحملِ الآيديولوجي لها تبقى دليلَنَا إلى أصَالةِ كثيرٍ من المُفرداتِ الّتي تشــابهتْ في الرّسُــومِ وتباينتْ فــي الدّلالاتِ، وليــسَ ببعيدٍ أنْ يحضرَ فِي دِراســتنا تطــوّر الكتابَةِ لــدَى العَربِ باعتباره كاشفًا لسانيًّا عن انتقالِ الفيلولوجيا من التطوّر الصّوتــي إلى الإمكانِ الكتابيّ، الّذي تميّزَ في بِدايةِ تطــوّرِهِ بالضّعفِ، وهــو نتيجةٌ حتميّةٌ لفلسفةِ التّحوّلِ في التّاريخِ. لذلكَ المَطلبِ يحضرُ الرَّســمُ القُرْآنيُّ مســاعدًا فيلُولُوجيًّا نســايرهُ من أجلِ الكَشــفِ عن موردِ الأصَالــةِ والصّحةِ لألفاظِ ومفرداتِ بعضِ الكلماتِ من القُرآن، ليسَ بدعوى تغايــرِ إقرائِها بــلْ بدعــوى التثبّت مــن موردِها السّياقيّ، وصورتِها الكتابيّة الّتي نطقَ بها الوَحيُ أوّلَ نزولِه. مُراعينَ بذلكَ أنّ مشكلةَ التدوِينِ تكادُ تكونُ واحدةً في الدّياناتِ الكتابيّة، فالأفستا دُوّنت في الأزمةِ السّاسانيّة بأبجديّةٍ جديدةٍ معتمدةً على رموزِ الأبجديّةِ البهلويّة، وليسَ لدينا معرفةً مَا إذا كَانتْ تشــبهُ الخطَّ الأفســتي الأصليّ، أمَّا الأسفارُ العبرانيّةُ المقدّسةُ فموجودةٌ بالخطّ المربّعِ، وهو لمْ يكنْ مســتعملًا حينَ كُتبتْ نصوصُها الأصليّة، فالتنقيطُ الموجودُ في النــصّ، هوَ إضَافةٌ حديثةٌ نسبيًا للنصّ.(٥)

ويُمكنُنــا إجمــالًا أنْ نُبيــنَ دورَ الفيلولوجيا في دِراستِنَا في ما يأتي:

- إعدَادُ المُفردةِ في وضعِهَا الأوّلِيّ.
- نقدُ صحّةِ توارِدِهَا فِي أشكالِهَا المتعدّدة.
- بيانُ أصالةِ المفردةِ وليسَ تعدّد أوْجهِ قراءتِهَا.

ثانيا: فاعِليةُ الفيلولوجيا فِي التّوثيقِ

تُمكّن الفيلولوجيا القائمينَ على تحقيقِ أصَالةِ النّصــوصِ أنّهَا تفتــحُ لهُمْ آفاقا علميّــة تجريبيّة قائمةً علــى مبدأ يبتعدُ فِي كثيرٍ مِــن مناحيهِ عنِ الأُسُسِ الّتي وردَ فيها ذلك النّص، لا سيّما المتعلّقةُ بالرّوايــةِ والتّواتــرِ، فليسَ من شــأنِهِ الغوصُ في ذلكَ بقــدرِ ما يتعلّقُ الأمرُ بالنّــص المتأصّلِ أمامَ التّاريخِ والأشــخاصِ الرّامينَ إلى تناولِه وشرحِه،

(٤) يُنظَــر: قــراءات في القرآن، محمد آركــون - ترجمة : هاشــم صالح، دار الســاقي/ بــيروت – لبنــان / ط١ / ٢٠١٧م : ١٥٠

(٥) يُنظَر: القرآن ككتــاب مقدس، آرثر جيفري، ترجمة: د. نبيــل قيــاض – دار أبكالو / بغداد – ط١ / ٢٠١٨م : ٢٤٨

وهوَ إجراءٌ يفارقُ ما اعتَادَ الباحثُونَ على السّـيرِ بمنهجِهِ، لذلكَ لمْ تكتـفِ الفيلولوجيا أثناءَ عمليةِ التّحقّقِ هذهِ بالتاريخِ باعتبارهِ عُنْصرًا موغلًا في القِـدَمِ، وهو متزامنٌ مع نشـوءِ عناصـرِ التّدوينِ هذهِ، بَلْ يستعيرُ من علومٍ عدّةٍ أدَواتِها الّتي تخدمُ ذلكَ التّحقّقُ.

ومـن المعـروف أنّ النّص القُرآني مَرّ بمراحلَ إخـراجٍ تأريخيّةٍ وتشـكيليّةٍ، اصطبـغَ على إثرها السّـمَاوِيُّ بالبشـريّ، وهـوَ اندماجٌ وسّـعَ دائرةَ الخِـلافِ بـدلَ أنْ يُضيّقَهـا، ولذلك وُسِـمَ النّص بالتحريـفِ عندَ مَـنْ يَرَى أنّ النّـص بمجملِهِ فيهِ اختـلافٌ، والقِـراءاتُ القُرآنيـةُ كانـتْ المدخـلَ الرّئيـسَ لتوليـدِ هذا الطّعـنِ. وعليـهِ يكمنُ عملَ الفيلولوجيـا إذ تُسَـاعدُ فـي تَوثِيـقِ القُـرآن من القِراءةِ، أنّها بحثتْ عنْ التّغيّراتِ الّتي طرأتْ على تلكَ المُفرداتِ، ومحاولـةِ تأصيلِ أيّهما هوَ النّص الأصلـيّ، واختيارِهـا كمفـردةٍ وحيانيّةٍ وليسَـت قرائيةٍ بشـريّةٍ؛ إذْ ترتكزُ العقيدةُ الاسـلاميّة على مُحورٍ أنّ القـرآنَ لفظُهُ ومعناهُ من اللهِ عندَ أغلبِ المسلمينَ، ولفظُهُ فحسبْ عندَ ثلّةٍ ليسَت بالقليلةِ، فاللّفظ أصالـةً يُحققّه وجوده وهـوَ الحدُّ الأدْنَى لتمثيـلِ الوحـيّ، ولعـلَّ المدّونّاتِ القدِيمـةِ الّتي اعتمدتْ على شَـكْلِ الكِتابةِ وترتيبِهـا وأبْجديتِها هـيَ مـنْ دفعتْ إلـى ذلـكَ الخَلـطِ. فـإذا كانتْ الفيلولوجيـا قائمةً على التّصحيـحِ لما وردَ خطأً فـي مُجْمَـلِ المَخطُوطاتِ المُـرادِ نقدِهَـا، فإنّها مع النّـص القُرآني تقـومُ على مُقابلـةِ القراءات واختيـارِ الصّحيحِ منهَا؛ بُغيةَ إثباتِ أصالةِ النّص لفظيًّـا، لا بنحوِ التّعدّد القِرائي، فـإذا مَا ثبُتَ أنَّ هـذهِ المُفردةَ أصحُّ مِنْ قرينتِها المُتشـابِهةِ معهَا رَسْـمًا لا إعجامًـا، عُدّتْ هـذهِ المُفـردةُ قُرْآنًا ومَا عدَاهَا تجوّزا: قراءةً، وهو مَسـارٌ أشـبَهُ ما يكونُ بنوع من التّوضيحِ والتّفسـيرِ. وهـوَ إجراءٌ جعل اللّسـانياتِ قادرةً على التّمييزِ بيـنَ النُطقِ الأوّلِ للمُفـردةِ وبينَ تشـكّلِها وسـجْنِها داخـلِ أحيازِ اللُّغةِ، فاللّسـانياتُ تُميّزُ بينَ عمليةِ النُطقِ أوْ فِعلِ إنتـاجِ النّص من مُتَكلّمٍ، وبيـنَ العِبارةِ المنطوقةِ كنصّ منجزٍ ومتحقّقٍ، أيْ النتيجةُ اللّفظيةُ الكُلّيّةُ لعمليةِ التّكلّمِ والنُطقِ.(٦)

لقـد منعتْ الحُصونُ المنيعةُ العقلَ البشـريَّ من مُحاكمةِ لاهوتِ القراءاتِ وحوّلتهَا إلى قَداسـةٍ أعظـمَ مـن قداسـةِ القُـرآنَ نفسِـه، فالسّـلُطاتُ المُتنوعـةُ الّتي مارسَـهَا مُدَّعو الاعتنـاءِ بالقراءةِ حيّـدتْ التّفتيشَ عـن مَكامنِ الأصْلِ فـي النّص، وعليهِ كانَ لِزامًا أنْ يُسـائل بحثنَـا تلكَ المتبنّيّات لغويّـا وتاريخيّا وفيلولوجيا، فهـذهِ المعرفةُ هيَ خُـروجٌ متكرّرٌ خـارجَ حدودِ السّـياجِ الدّوغمائي المُغلـقِ الّذي يميلُ كلُّ تراثٍ ثقافيّ إلى تشـكيلِه بعـدَ أنْ يعيشَ مرحلةً من البَلْـوَرَةِ المُكثّفةِ، إذْ أنّ هناكَ سياجا دَوغمائيا اسلاميّا ويهوديّا ومسيحيّا بلْ حتّى ماركسي..(٧)

بنـاءً على ما تقدّمَ تُمارسُ الفيلولوجيا منهجًا نقديًّـا بعيدا عـنْ متبنّياتِ الأدْلَجـةِ الّتي جاورَتْ القِراءاتِ منذُ نشوئِها وانتهاءً بعصرِها الّذي أغلقه

(٦) يُنظَر: قراءات في القرآن:١٦٥

(٧) يُنظَر: المصدر نفسه:١٦٣

ابـنُ الجزريّ (ت ٨٣٣هـــ) [٨]؛ لِتُميّزَ القُرآنَ عن القـراءاتِ باعتبارِهما شـيئينِ مختلفينِ كمَا يرَى الزّركشي.[٩] هذهِ المُمارسةُ التّوثيقيّةُ تعتمدُ سُبُلًا متنوعةً رُبّما تكونُ الآركيولوجيا أحدها، إذْ تسمحُ عمليةُ التّفتيشِ في السّـاميّات مثلا بالوقوفَ على مـوارِدِ الصّحةِ في بنيةِ اللّفـظِ المَقصودِ بدلًا من قراءتـهِ بإعجامـاتٍ مختلفـةٍ، وقد رأينـا أنّ هذا الإجـراءَ أمـرٌ تكفّلـتْ بهِ اللّسـانيات؛ لأنّهـا تُتيحُ لنَا إمكانيةِ دراسـةِ لسـانٍ معيّنٍ دراسـةً داخليةً باعتبارهِ بنيةً قائمةً الذّاتِ ومسـتقلةً عنِ العواملِ الخارجيّةِ، لا يحتاجُ في فكّ رموزِها إلى مُعطياتٍ خارجةٍ عنهَا.[١٠]

ثالثا: مدخليةُ الخطّ العربيّ في تَوثِيقِ مُخرجات الفيلولوجيا

يَحتـل الخَطّ الّذي تُدوّنُ بـهِ النُّصوصُ مكانةً سـامقةً فِي الفيلولوجيـا، باعتبارِهـا تتَعاملُ مع النّص المكتـوبِ واللّغةِ الّتي دُوّنَ بها ذلكَ النّص، ونتيجةً لذلكَ اندمجَتْ علومٌ عدّة تُمارسُ فاعليّتها من أجـلِ الوُصولِ للحقيقةِ أوْ الاقترابِ منْهَا. فقدْ شملتْ الدّراساتُ الفيلُولُوجيّة التّأريخَ للنّص، وفَكّ رمـوزِهِ والمقارَنةَ بينَ الطّبعاتِ، وترتيبَ الأخطاءِ وشرحَهَا، ورَصْدَ الاضافاتِ المُقحمةِ على النّص، وتأسيسَ معاييرِ التّثبتِ من صحّةِ النُّصوص.[١١]

كُلّ هذهِ المَعايير تَجتمعُ من أجْلِ غايةٍ واحدةٍ هيَ: نقدِ النُّصوصِ الّتي حاولتْ مُدخلاتُ الاجتهادِ القرائـيّ (التّـلاوة)، فيها تغييرِ البنيـةِ الوَحْيانيّةِ لأسـبابٍ افترضهَا أصحابُ تلكَ القِـراءاتِ، وكأنَّ صاحـبَ النّـص أبـاحَ لهُم التّصـرّفَ فـي البِنى اللّغويّـةِ بعيدًا عـن مفهـومِ (لفظُـهُ ومعناهُ من اللـهِ)، ونتيجةً حتميّةً لمَا مَرّ بهِ الخَطُّ العربيُّ من تغييراتٍ وإرهاصاتٍ عصفتْ بجوانبِ التّحقّقِ من تاريـخِ صيرورَتِهِ أبجديةً تُمارِسُ سـلطةَ التّقليدِ والإكرَاه على تَدوينِ تلكَ النُّصوصِ بهذَا الشَّـكلِ، حيـثُ تعاقبتْ على ذلكَ القَلـمِ أنماطٌ مختلفةٌ من الثّقافات طَبعتْ ذلكَ القلمَ بشـيءٍ من الاختلافِ، ولعـلَّ الأدَاءَ الصّوتيّ الّذي يُعدُّ أحدَ أطوارِ الكتابةِ العربيّـةِ يَحملُ جُزءًا من ذلكَ العبءِ؛ فقدْ نشـأتْ الحضـاراتُ في الجزيرةِ العَربيّـةِ جنبًا إلى جنبٍ لا سـيَّما الدّينيّـةُ منهَا، وهيَ حضاراتٌ تسـتدعِي التّمازُجَ والاندماجَ بلْ التّماهِي في بعضِ الأحيانِ، ولعلَّ التّداخـلَ الصّوتيّ أوْ الكتابِـي أكثرُ عُرْضةً لذلـكَ التأثيـرِ باعتباره مُمارسَـة فعليّـةٍ يوميّة:

(٨) سـعى ابن الجزري إلى إصدار فتـوى من كبير فقهاء عـصره عبد الوهاب بن السـبكي، بتكفير كل من يعارض القـول بتواتر القـراءات العـشر.. يُنظَر: منجـد المقرئين ومرشـد الطالبين شـمس الديـن أبو الخير ابـن الجزري، محمد بن محمد بن يوسـف (المتوفى: ٨٣٣هـ /دار الكتب العلمية، ط١/ ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م :٦٧.

(٩) يقـول الزركشي: واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتـان فالقـرآن هو الوحـي المنزل عـلى محمد صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ للبيان والإعجاز والقـراءات هي اختلاف ألفـاظ الوحـي المذكور في كتبـة الحـروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهمـا. يُنظَر: البرهان في علوم القرآن، محمـد بن بهادر بن عبد اللـه الزركشي أبو عبد الله / دار المعرفـة - بـيروت، ١٣٩١/ تحقيـق : محمـد أبو الفضل إبراهيم:١/ ٣١٨

(١٠) يُنظَر: اللسـانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، د. مصطفى غلفان- دار الكتاب الجديد، / ٢٠١٣م :٣٩١

(١١) يُنظَر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس:٤٠

شـفهيّةً أوْ تدوينيّةً، كُلُّ هذهِ الحُمـولاتِ الفكريّةِ والاجتماعيّةِ صبغـتْ الخَطَّ العربيّ بألوانٍ أوقعتْ تدْوينَ النُّصوص المُقدّسـةِ بشيءٍ من الاختلافِ، لـمْ تظهـرْ بـوادرهُ إلاّ في مراحـلَ متأخـرةٍ عنْ تاريخِ نـزولِ النّص المقدّسِ، وهـوَ أمرٌ دفعَ ابنَ خلدونَ إلى تخطئةِ الصّحابةِ في رسمِ المُصحفِ، إذْ يقـولُ: وانظـرْ لما وقعَ لأجلِ ذلكَ في رسـمِهم المُصحـفَ، حيثُ رسـمَهُ الصّحابـةُ بخطوطِهم، وكانتْ غيرَ مستحكمةٍ في الإجادِةِ، فخالفَ الكثيرُ من رسـومِهم ما اقتضتُه أقيسـةِ رسـومِ صناعةِ الخطّ عندَ أهلِهَا.(١٢)

إنَّ مسـألةِ محاكمـةِ نـصّ القـرآن المـدوّنِ بمراحـلَ متطورةٍ مـنَ الإخـراجِ، نتيجـةٌ حتميّةٌ بفعـلِ غيابِ النّـص الأوّل الّذي كُتـبَ زمنَ النّبي (ﷺ)، وهـوَ أمرٌ أعيدَ تكرارهُ إبّـانَ فترةِ الخليفةِ (عثمان)، حيـنَ ألغَى كُلَّ الوثائـقِ الّتي يُمكنُ أنْ تعتمدَهَـا الفيلولوجيـا فيمَـا بعدَ لتّوثيـقِ النّص عمَّا أُلحِـقَ بهِ من إضافاتٍ وتشـكيلاتٍ، وهوَ أمرٌ تطلّبَ مـن الفيلولوجيا أنْ تُفتّشَ – لاسـيّما على مسـتوَى المُفرداتِ- عـنْ مواطنِ التّحقّـقِ منهَا، فبدأتْ بمقارناتٍ تاريخيّةٍ معَ الأرومةِ الّتي تنتمي إليهَا العَربيّةُ الّتي دُوّنَ بها النّصُ، أمثالُ السـبئيّةِ والأمهريّـةِ والجعزيّةِ وبقيةِ الأخـواتِ من الأنماطِ واللّهجاتِ، وهوَ أمرٌ لمْ يَلتفتْ إليه الأوائلُ؛ بسـببِ الثّقافةِ الشفويّةِ للّسان، فاللّسانُ عندَهُم مقصورٌ علـى القريبِ الحاضِر، والقَلمُ مطلقٌ في الشـاهدِ والغائبِ، وهوَ للغائبِ الحائنِ مثلُهُ للقائمِ الرّاهنِ، والكتـابُ يُقرأُ بكلّ مكانٍ ويُـدرّسُ في كُلّ زَمانٍ، واللّسان لا يَعدو سامِعه، ولا يتجاوزه إلى غيرهِ(١٣)

ولعلّ أعظمَ ميزةٍ مارستْهَا شفويّةُ نقلِ النّص القرآنيّ أنّها حافظتْ على قِراءتِهِ بصورةٍ سـليمةٍ رغـمَ تدوينِهِ بخطـوطٍ تُخالـفُ بعـضَ الأداءَاتِ للألفاظِ مثل: (الزّكوة، الصّلوة....)، وغيرِها كثيرٌ. إنّ الصّنيعَ الّذي قامَ بِهِ (عثمانُ) يُخالِفُ كلَّ أنظمةِ الفيلولوجيا الّتي يَستدعِي نجاحُ اجراءاتِها التّحقّقَ عنْ طريقِ الوثاقةِ أصالةَ تلكَ النُّصوصِ، وهوَ أمرٌ تطلّبَ من الفيلولوجيا التّفتيشَ في مَكامِنِ اللّغاتِ الّتي اشـتركتْ في مرحلةٍ مَا معَ العربيّةِ في رسمِ خُطوطِهَا وتوثيقها، فالخطوطُ العربيّةُ هيَ نتيجةٌ أشـبهُ بالحتميّةِ لِمَا آلَ إليهِ تطـورُ الحروفِ الّتي زامنتْهَـا تاريخيًّا، ولعـلَّ الحُـروفَ الغربية الّتي ظهرتْ في الكتابـاتِ النّبطيّةِ القديمةِ والمتطورةِ إلى جانبِ حروفِ الكتاباتِ الآراميّةِ المُختلفةِ هي الأُصولُ التي تطورتْ منهَا الحروفُ العربيّة، وهيَ أقدمُ الإشـاراتِ للحروفِ العربيّةِ الّتي اسـتعملها الأنباطُ وطوّروُهَا.(١٤)

(١٢) يُنظَـر: مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون / دار الفكر – بيروت/ ٢٠٠١م : ٧٤٩

(١٣) يُنظَـر: البيـان والتبيين أبو عثمان عمـرو بن بحر الجاحـظ: تحقيـق وشرح: عبد السـلام هـارون/ مكتبة الخانجي – القاهرة- الطبعة السابعة، ١٩٨٨م :١/ ٨٠

(١٤) يُنظَر: مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القـرن الأول الهجري. أسـامه ناصر، مجلة المـورد، عدد ١٩٨٦/٤

لقد تأثّرَ رسمُ المُصحفِ بخطّ الكلماتِ الّتي تُرسمُ بواسطةِ خطّ المُسنَد، ولعلَّ ما يُثبتُ ذلكَ الألفُ الزّائدةُ بعدَ الواوِ المتطرّفةِ، نحوَ: (علماؤا، الرّبوا)،وهذهِ في الحقيقةِ رمزٌ جنوبيٌّ استعمِلَ في الخطّ المسندِ للدّلالةِ على انفصالِ الكلمةِ، ونهايةِ هجائِهَا، افترضَهُ عربُ الشّمالِ في الكلماتِ الّتي يلتبسُ طرفُهَا بأوّلِ الكلمةِ الّتي تليهَا.[١٥].

إنَّ المفرداتِ المُنتقاةِ للدّراسةِ –ها هنا- يتعلّقُ البَحثُ الفيلُولُوجي فيها بعمليةِ الاعجامِ الحرفيّ لشكلِ الحرْفِ المُرادِ رسمُهُ، ففي العربيّةِ حروفٌ روادفٌ تتشابَه في الرّسمِ وتتباينُ في اللّفظ، وقدْ ميّزَ المدوّنونَ الأوائل تلكَ الحُروفَ العربيّةِ بالشَّرَطَاتِ، وهيَ نقاطٌ توضعُ أعلى الحَرفِ أوْ أسفلَهُ لدفعِ الاشتباه بِقراءتِهَا بنمطٍ صوتيّ واحدٍ، والّتي فارَقَ بعضُهَا أبجدياتِ بعضَ السّاميّات، فالشّرَطَاتُ هيَ: الأحرفُ الجديدةُ المتجانسةُ رسمًا، والحروفُ الصّائتةُ الّتي احتفظَ بها علمُ الأصواتِ في العربيّةِ، والّتي لمْ تتمثّل في الأبجديّةِ الآراميّةِ، وهيَ: (ث، خ، ذ، ض، ظ،غ).[١٦].

لا تتقيّدُ فكرةُ الإخراجِ الكتابيّ للنّصّ القرآني على مرحلةِ التّدوينِ الأوّليّة لذلكَ النّص، بلْ تضربُ جذورُهَا أعماقَ التّأريخِ، تاريخِ انحدارِ أوْ تطوّرِ أنماطِ الخطّ وصياغتِه، بدْءًا من تشكّلِ الرّموزِ الصّوتيّةِ، وانتهاءً بالأبجديّةِ الإغريقيّة وغيرِها، وهوَ تاريخٌ يغيّرُ مجرى الحُكمِ في النّهائِي؛ ما دامَ يعتمدُ على فيلُولُوجيا الصّنعةِ الكتابيّةِ. إذْ لمْ تنبثقْ هذهِ المتغيراتُ الموجودةُ في النّص بفعلِ مرحلةِ التّأسيسِ فحسبْ، بلْ إنّها حملتْ في أمشاجِها التّوجهَ في الصّنعةِ الكتابيّة؛ فالكاتبُ في الآراميّةِ غيرَ الكاتبِ في النّبطيّةِ والقتبانيّةِ، وهوَ أمرٌ بانَ اختلافُهُ فيما بعدَ إخراجِ مصاحفِ المُدنِ، وقدْ تنبّه لهذا الأمرِ الخليفةُ (عثمان)، حينَ أرسلَ مع كلّ مصحفٍ قارئًا لهُ، وهذا سلوكٌ فيلُولُوجيٌ مطرّزٌ بالأداءات الصّوتيّة، فالفيلولوجيا الّتي تَعتمدُ الصّورةَ الكتابيّةِ أساسًا ثابتًا في عمليّةِ النُّطقِ بهَا فيما بعْد، جعلَها صنيعُ (عثمان)، مشتركةً معَ الأداءِ الصّوتيّ، وهوَ إجراءٌ يشي بعدمِ النُّضجِ الأخيرِ لتلكَ المصاحفِ، لذلكَ عمدوا إلى فكرةِ التّبريرِ؛ دفعًا للحرجِ الّذي يؤدّيهِ الطّعنُ في الفعلِ الأوّليّ للخليفةِ الثّالثِ.

لقد تناوبتْ على موردِ إعجامِ الحرْفِ في العربيّةِ نظريتانِ تتخالفانِ فيما بينهُمَا، إذْ ترَى النّظريّةُ الأولى أنَّ العربَ كانتْ توثّقُ حروفها معجمةً، وهيَ بذلكَ تسلكُ مسلكَ السّريّانيّةِ والعبرانيّةِ، حيثُ كانتا تُشكّلانِ حروفَهُمَا بالإعجامِ، وهو أمرٌ عده منتقدو النّظريةِ غيرَ متحقّقٍ؛ بفعلِ بداءةِ الخطّ العربيّ آنئذٍ، وعدمِ صحّةِ الوثائقِ المقدّمةِ في هذهِ النّظريةِ. أمّا النّظريةُ الثّانية: فإنّها ترَى أنَّ الحروفَ رُسِمَتْ معطلةً من الإعجامِ والنُّقطِ، بلْ

(١٥) يُنظَر: الطراز في شرح ضبط الخراز، محمد بن عبد الله التنسي/ تحقيق: د. أحمد بن أحمد شرشال/ مجمع الملك فهد للطباعة – ط١/ ١٤٢٠هـ: ٣٥٦-٣٦٣، ودليل الحيران على مورد الظمآن: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالك-: دار الحديث- القاهرة : ١٥٨

(١٦) يُنظَر: تاريخ الخطوط والكتابة العربية من الأنباط إلى بدايات الإسلام: بياترس جرند لر/ ترجمة: د. سلطان المعاني، و د. فردوس العجلوني، الأردن/ ٢٠٠٤م : ١١٤

(١٧) يُنظَر: مجلة المكتبة العربية، ٢٤، عدد ١/٦٣، المورد، ٣٩، عدد ٤/٨٦. اللحن في اللغة العربية تاريخ وأثر، ١٧٤

هناكَ من الدّلائلِ في طريقةِ الرّسـم هذهِ، ما يدلُّ علـى هذهِ الخاصيّاتِ الإملائيّـةِ والكتابيّةِ الأُخرى الّتـي أخذتْهَا الكتابةُ العربيّةُ عـن أختِها النّبطيّةِ، مثـلِ حـذفِ الألفِ الممـدودةِ من وسـطِ الكلمةِ، وكتابةِ التّاءِ المؤنّثةِ (المربوطة) تاءً مبسوطةٍ في نهايـةِ الكلمةِ، وزيادةِ الواو في آخرِ الاسـمِ. فكُلُّ هذهِ المُميزاتِ في الرّسمِ هي مشتركةٌ بينَ الكتابةِ العربيّةِ في أوّلِ عهدِها والخَطَّ النَبطيّ.[١٧]

وبمعادلـةٍ رياضيّةٍ بسـيطةٍ يمكنُنـا إجمالا أنْ نُثبـتَ أنَّ الحروفَ العربيةَ غيـرُ معجمةٍ في ذلكَ الوقـتِ، منهـا: اختـلافُ الصّحابـةِ فيمَـا بينهُم باعتبارِهم رواةَ النّصّ القُرآنيّ وحملتِهِ، ولعلَّ في مقدّمـةِ ذلكَ الاختـلافَ القِرائيّ ما هـوَ كامنٌ في إعجـامِ بعضِ الحروفِ الـرّوادفِ، مثلِ الاختلافِ في قـراءة قولِه تعالى: «قال عذابي أصيب به من أشاء»(الأعراف:١٥٦)، فقد قُرِئَتْ (أساء) بدلا عنْ (أشاء).

أمّـا الحُجّةُ الثّانيةُ الّتي تَرَى فيها الفيلولوجيا توثيقًا نصيًّـا لِما تَرومُ الوُصولَ إليـهِ محقّقا: أنَّ الوثائـقَ أو النقـوشَ الّتـي عُثِـرَ عليها إبّـانَ تلكَ الفترةِ تفتقـرُ إلى الإعجامِ، أمثـالُ نقش (القاهر ٣١هـ)[١٨]، فقد دُوّنَ مهملًا من ضوابطِ الرّسـمِ، وهـذا النّقشُ تعـده الفيلولوجيا وثيقـةً تاريخيّةً كونُـهُ يُزامِنُ فتـرةَ التّدوينِ الأولـى للقُرآنِ. وهذا الصّنيـعُ أشـدُّ وثاقـا من سـابقِهِ؛ كونُهُ مسـتندًا علـى حُجّةٍ تاريخيّةٍ متأصّلةٍ فـي الثّقافةِ الخطيّةِ العربيّةِ. وبنـاءً على ما تقدّمَ ذكرهُ وسـوقَ أدلتِه يتبيّنُ لنـا أنَّ للفيلُولُوجيا حضورًا واسـعًا ضمنَ مسـاحةِ عملِهـا المُقارنـةِ والتّاريخيّـةِ، وهيَ مع ذلـكَ لا تحلُّ محـلَّ العُلومِ الأُخـرى؛ لأنّهَا لا تهتّمُ سـوى ببعضِ الجوانبِ مـن عملِها، وهـيَ إعادةُ بنـاءِ دقيقةٌ قدرَ الإمكانِ، ونقدٌ كاملٌ للوثائقِ الّتي تستخدمُهَا.[١٩]

رابعا: سـلطةُ الرّسـمِ القرآنيّ في جمودِ التّطوّرِ الكتابِيّ للمُفرداتِ

يحضرُ الرّسـمُ القرآنـيُّ مقابلًا للخطوطِ الّتي مرّت علـى العربيّـةِ بدءًا مـن الكتابـةِ الصّوريّةِ وانتهـاءً بالأبجديّـاتِ المتناوبَـةِ تاريخيًّـا؛ نظرًا لِمَـا يتمتّـعُ بِهِ من سـلطةٍ اكليروسـيّةٍ مكّنتهُ من الهيمنـةِ على مجمـلِ الخُطوطِ الّتي تَشـكّلَ منها هذا الرّسـمُ، ومن المعلوم أنّ القـرآنَ الكريم وردَ شـفاها على لِسـانِ النّبي (ﷺ)، وبقيتْ مسـألةُ تدوينـهِ تتجاذبُهَـا الخُطـوطُ قـوةً وضعفًا، وهوَ الأمرُ الّذي أدّى إلى أنْ يجنحَ أصحابُ السّلطةِ إلى عدمِ الاقترابِ من مسـاحةِ فيلُولُوجيا الرّسمِ؛ لأنّهُ في نظرِهـم يُعيدُ صياغة كثيرٍ مـن الموارِدِ الّتي رُبّمَا لا تتناسـبُ وطبيعةَ السّلطةِ المهيمنةِ ثقافيا وآيديولوجيا.

تعمدُ الفيلولوجيا إلى مبدأ الواقعِ اللّغوي الّذي شكّلَ النّص القُرآني، والّذي ضمنَ مرافقه طبيعةَ الخُطـوطِ، هذه الخطوطُ التي مرّتْ على النّصّ لم تكنْ بمستوى الدّقةِ والضّبطِ في إخراجِ النُّصوصِ المُـرادِ قراءتِهَا فيلُولُوجيا؛ بسـببِ اعتمادِ الثّقافةِ

(١٨) يُنظَر: مجلة المورد: عدد٤ / ٨٦، ص:٤٢

(١٩) يُنظَـر: نظريـات العلوم الإنسـانية، جوليان فروند – ترجمـة: أمـيرة مطـر و أنـور مغيث/ المركـز القومي للترجمة- القاهرة/ ٢٠٠٦م :٦٢

العربيّـةِ لا سـيّما الاسـلاميةُ منهَـا علـى الحِفظِ والتّداولِ الشّـفاهِي، وهوَ أمرٌ بانَتْ بوادرُ ضعفهِ فيمَـا بَعد عندَ محاولةِ إخراجِ كتابٍ يجمعُ شـتاتَ المختلفيـنَ في قراءتِهِ، وهوَ أمرٌ أثبتَ فيلُولُوجيتهِ ابـنُ مجاهدٍ في كتابِهِ: السّـبعةُ فـي القِراءاتِ، إذْ يقـولُ: أنَّ مـنْ يحفظِ القُـرآن... الّـذي لا يعرِفُ الاعـرابَ فلا يلبثُ مثلُه أنْ ينْسَـى إذا طالَ عهدهُ، فيُضّيعَ الإعرابَ لِشدّةِ تشابهِهِ وكثرةِ فتحهِ وضمّهِ وكسـرهِ في الآيةِ الواحدةِ؛ لأنّـهُ لا يعتمدُ على علمِ بالعربيّـةِ و لا بَصَـر بالمعاني يرجـعُ إليهِ، وإنّمَا اعتماده على حفظهِ وسماعهِ. وقدْ ينْسَى الحافظُ فيُضيّع السّماعَ وتشتبهَ عليهِ الحروفُ فيقرأُ بلحنٍ لا يعرفُهُ، وتدعوهُ الشّـبَهةُ إلى أنْ يرويَهُ عن غيره ويبرئ نفسَـهُ، عسـى أنْ يكونَ مُصدّقـا فيحملَ ذلكَ عنهُ وقد نسـيهُ ووهمَ فيهِ وجَسُرَ على لزومِه والإصرارِ عليه..[٢٠]

إنَّ عمليةَ إخراجِ نصّ شفويّ بواسطةِ رموزٍ رُبَّما تكونُ متشـابهةً في موردٍ ما يجعـلُ الفيلولوجيا تَلجأُ إلى التّطـورِ التّاريخيّ لتلـكَ الخطوطِ الّتي تَشـكّلَ النّـصّ القرآنيّ علـى ضوئِهَا، وهـوَ أمرٌ نظرتْ إليهِ الفيلولوجيا بشـكلٍ متساوٍ؛ لأنّها ترَى أنَّ رسـمَ المُصحفِ نتيجةٌ حتميّـةٌ لما كانتْ عليهِ ألسنةُ العربِ وخطوطُهم قبلَ الإسلامِ وبعده. وقد دوّن لنا الباحثونَ أنَّ قلمَ المُسندِ هوَ القلمُ العربيُّ الأصيـل، والأوّلُ عنـدَ العـربِ، غيـرَ أنَّ التبشـيرَ بالنّظريّةِ أدخـلَ معهُ القلمَ الإرمـيّ المتأخرِ، قلمُ الكنائـسِ الشّـرقيّةِ، وهـذا القلمُ أسـهلُ بالكتابةِ من المُسـندِ؛ لهذا كُتِبَ له الانتشارُ... وعندما جاءَ الاسـلامُ كتبَ أهلُ الوحيّ بهـذا القلمِ ثُمَّ صارَ قلمُ مكـةَ هو القلـمُ الرّسـميُّ للمسـلمينَ وحُكِمَ على المُسـندِ بالموتِ عندئذٍ.[٢١] لقد مارستْ الخطوطُ فيمَا بينها فلسـفةُ الإزاحـةِ والإحلالِ، وهوَ صنيعٌ طبيعـيٌّ بفعلِ عوامـلِ التّغيّرِ والتّطـورِ الحياتي للمجتمعاتِ، فقد اسـتعارتْ العربيّـة منَ النّبطيّةِ أشكالَ رموزِها؛ بسببِ تماثلِ أشكالِها مع النُّقوشِ الّتي وُجِـدَتْ آنئذٍ، وهو أمرٌ يمكنُ مشـاهدتُه في نصوصِ الرّسمِ القرآنيّ، وذلكَ أنَّ النّبطيّةَ تُسقطُ حرفَ الألفِ من بعضِ الأسماءِ، فيكتبونَ (حرث)، بدلا من (حارث)، وثلثين بدلا من ثلاثين.[٢٣]

إنَّ عمليـةَ التّحوّلِ الّتي نشـأتْ على أنها نتيجةٌ طبيعيّـةٌ لمَا آلـتْ إليها طبيعـةُ التّكـوّنِ الثّقافي للمجتمعِ العربيّ تشـي بأنَّ انتقـالَ الخطوطِ من مـوردٍ لآخر، قـد بدأ يطغي على السّـطحِ مدفوعا بانشـغالِ النّاسِ بسحرِ الكتابِ (القرآن)، وتلاوتِهِ وحفظِهِ، فقد اجتمعـتْ ثقافاتٌ وتنويعاتٌ فكريّةٌ جعلـتْ الرّسـمَ القرآنـيّ فيمـا بعـد يحـلُّ محلَ الخطـوطِ العربيّـةِ، دونَ أن يتمكنَ أيُّ إنسـانٍ – مهما كان موقعُهُ- من ممارسـةِ عمليةٍ تصحيحيّةٍ

(٢٠) يُنظَـر: السـبعة في القـراءات: أحمد بـن موسى بن العبـاس التميمي، أبو بكر بـن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف : دار المعارف – مصر/ط٢، ١٤٠٠هـ

(٢١) يُنظَر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي، دار الساقي/ ط٤ / ٢٠٠١، ١١٨/٨

(٢٢) يبنظر:مبـدأ ظهـور الحـروف العربيـة وتطورها. بحث مجلة المورد: ع ٤/ ١٩٨٦

(٢٣) يُنظَـر: القـرآن ونقـوش اليمن مقاربـات جديدة: مجموع مؤلفين/ ترجمة: محمد عطيوش – دار الرافدين/ ط١ – ٢٠٢٣ : ٢٢-٢٣

لمجملِ الرُّسومِ الّتي خالفتْ نُطقهَا كتابتُهَا، وهو أمـرٌ منعتُه السُّـلطةُ، وهذا المنعُ هـوَ مَنْ حصّنَ الرّسمَ رغمَ المآخذِ الفيلُولُوجية عليه بسورٍ بنيويّ ذاتَ مِنْعَةٍ سياسيّةٍ..

ولعـلَّ اجتماعَ مختلـفِ الدّياناتِ والحضاراتِ فـي المُجتمـعِ المكـيّ والمدنيّ خصوصـا، منحَ تلاقـحَ تلكَ الخطـوطِ فيما بينِهَا، وهو سـلاحٌ ذو حدّيـنِ؛ لأنّه يُكثِـرُ تـواردَ الألفاظِ قرائيًـا؛ بفعلِ تغايرِ الرّسـومِ تلكَ، ولعلَّ السّريانيّةَ أقربُ اللُّغاتِ للعربيّـةِ، الّتي يمكنُها أنْ تقـدّمَ حالاتٍ متوازياتٍ تأثيليّـةً لا حصرَ لهَا فـي المُفـرداتِ والتّعبيرَاتِ القُرآنيّةِ، لاسـيّما أنَّ السّـريانيّةَ تزخرُ بالمفرداتِ الدّينيّـةِ، وهـذهِ المتوازيـاتُ نتيجـةَ القُـربِ اللّغويّ[٢٣] وهذا التقاربُ اللّغويُّ نشأ بفعلِ عواملَ عدّة، أبرزُهـا أنَّ الخطَّ العربيَّ يتمتّعُ بشـيءٍ من المرونةِ تمكّنُهُ مـن النّفاذِ أو التحوّلِ أو الترادفِ، بلْ حتّى التّوسـعِ، وهذا أدّى بدوره لأنْ يكونَ خطُّ المصحفِ قابلًا للتمدّدِ والانتشار، لا سيّما في ظلّ الامكاناتِ الّتي يوفّرُها الرَّسـمُ من حيثُ التشـابُهُ فيهِ والاعرابُ وغيابُ الهَمْزِ والألفات.[٢٤] وهو أمرٌ ثَبُـتَ بالتجربةِ الفعليّةِ، حيثُ تتزاحمُ في رسـومِ المصاحـفِ المختلفةِ تلكَ الحضـاراتِ والثّقافاتِ والدّياناتِ، فالميلانُ بالحـروفِ والتّباعدِ والتّنافرِ والامتـدادِ والرّشـاقةِ، وغيرِها من أسـاليبِ الخطّ كانتْ حاضرةً في رسمِ المُصحفِ، الّذي يبدو لي أنّهُ خليطٌ من هذهِ البينيّات الكتابيّة، لكّنَهُ يعكسُ توجّهاتٍ رسـميّةً واجتماعيّةً ذاتَ سـلطةٍ محكّمةٍ مغلقـةٍ. وعلى الرَّغمِ من هيمنةِ الرّسـمِ هذا إلاَّ أنَّ بعـضَ البلدانِ رسـمتْ الحـروفَ بشـكلٍ مغايرٍ لاسـيّما حين يتعلّقُ بالإعجامِ، فقدْ فرّقَ المغاربةُ بيـنَ رسـمِ الفاءِ عن القـافِ، بأنْ وضعـوا نقطةً (الفـاء)، فوقَ الحـرْفِ، ونقطةً (القاف)، أسـفلَ الحرفِ!!

ولعـلّ هـذا الأمـرَ رُبَّمـا يختلـفُ بيـنَ العربيّـةِ والسّـاميّاتِ، فالعـربُ ينقطونَ الحـرفَ من أجلِ توضيحـهِ، بمعنـى تعيينـهِ وتثبيتـهِ لتمييزِهِ عن الحرفِ الآخرِ المشابِهِ له، أمّا السّاميّاتُ فاستُعْمِلَ التّنقيطُ للتعبيرِ عن الحركاتِ.[٢٥]

خامسا: القلمُ العربيُّ خليطٌ أمْ أصيلٌ؟!

تبـرزُ الفيلولوجيا في هذا المورِدِ ككيانٍ فاعلٍ ومؤثّرٍ ينظرُ إلى الأمورِ من سلطةٍ عليا؛ لأنَّهُ يبحثُ في جذورِ المورِدِ الأصيلِ والمختلطِ، والحديثُ عن أصالةِ الخطوطِ تتجاذبُهُ المعتقداتُ والانطباعاتُ، إلاَّ أنَّ الفيلولوجيـا قد حسـمتْ الأمرَ، فقد اتّخذتْ من النُّقوشِ والحفرياتِ والرُّقمِ الطّينيّةِ والحجريّةِ الّتـي دَوّنـتْ تاريـخَ تلـكَ الخطـوطِ منطلقًا في تقريرِ أحكامِها، إذْ تسـتحضرُ في تنقيبِهَا أطوارَ الكتابةِ ورسـمِ الحروفِ، فقـد تناوبتْ على فكرةِ رسمِ الحروفِ ونشأةِ الخطوطِ آراءٌ عدّةٌ ووجهاتُ نظـرٍ بعضُها يرتبـطُ بالتّاريـخِ، وبعضُها يعتمدُ الشّـواخصَ، والنُّقـوشَ مسـرحًا لإثباتِ نشـأتِها وبروزِها، فقد برزَ الاتّجاهُ الدّينيُّ في شرحِ فكرةِ

(٢٤) يُنظَر: علوم القرآن في الابسـتيمية المعاصرة مقاربة تفكيكيـة نقديـة: إشراف: بسـام الجمـل/ مؤمنـون بلا حدود/ لبنان – بيروت / ط١ / ٢٠١٨م: ص٤٩٦

(٢٥) يُنظَر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام:٨/١٤٦

الكتابةِ ورسـمِ الخطـوطِ، واعتقـدَ أصحابُ هذا الاتّجـاه بوقفيّةِ تلكَ الحـروفِ، أيْ أنَّ اللهَ هو مَنْ تكفّلَ بإبرازِهَا، سـواءٌ عن طريقِ أنبيائِهِ ورسـلِهِ، أوْ عـن طريـقِ ذراريهـم مـن بعدِهـم، فبعضُها يُنسـبُ إلى خطّ حميريّ قديمٍ تعلّمـهُ أهلُ الأنبارِ من اليمنيينَ.[٢٦] هذهِ النّظريّةُ الدّينيةُ لمْ تسـتطعْ الثّبـاتُ بوجـهِ الفيلُولوجيـا؛ لأنَّ النُّقـوشَ الّتـي اكتشـفت ومازالتْ، غيّرتْ هذهِ النّظرياتِ وعدّتها أسـاطيرَ مغالية في إثباتِ أصالـةِ الخطّ العربيّ. وعلـى الرّغمِ مـن السّـلطةِ الدّينيّةِ الّتي شـحنتْ تلكَ الرّوايـاتُ كحافزٍ لتقبّلِ الرّسـمِ فيما بعد، إلاّ أنَّ الواقعَ غايرَ تلكَ السُّـلطةِ، فالاستعمالُ العربيُّ للخطوطِ في جوٍّ غيـرَ مقيّدٍ أدّى إلى تنوّعٍ عظيمٍ في الأشـكالِ والأسـاليبِ.[٢٧] هذا التّنوعُ في رسمِ الحُـروفِ تُثبتُهُ عملياتُ الاسـتعارةِ من الخطوطِ الّتـي زامنتْ الخَـطّ العربيّ، فقد اسـتعارَ الخطُّ العربيُّ من النّبطيّ والسّـرياني والاسـطرنجيلي في توثيقِ شكلِ الحرفِ، وحلّ الخطُّ العربيُّ محلَّ السـبئيّةِ في اليمنِ جنوبا، بينمـا بقيتْ الحميريّة فاعلةً فـي اللّهجـات المحليّة. وهو أمـرٌ طبيعيٌّ لتطوّرِ الكتابةِ وفاعليّتهَا.

مـا نودُّ قوله وإثباتَـه أنَّ الخطَّ العربي خليطٌ متجانـسٌ من شـتاتٍ متباعـدٍ، جمعتـهُ ظروفٌ اجتماعيةٌ، وتبدلاتٌ ديموغرافية أدّتْ به الى نظامِ التّأثيرِ والاستبدالِ، لا سـيّما أنَّ الأنظمةَ الصّوتيّة أكثـرُ عرضةً للتبـدّل، وتحاول الكتابـة فيه إبداءَ عنصرِ الثّبات كـيْ تتحوّل تلكَ الرُّموز إلى هياكل لا يمكنُ التلاعبُ بها تحت أيّ ظرفٍ، وهو الصنيعُ نفسُـه الّذي مارسَهُ رسـمُ المصحفِ عندما سوّر نفسَه بمنعةٍ تاريخيّةٍ ودينيةٍ حرّمَتْ المساسَ به! فعندما تنتقلُ من الشـفاهيّةِ إلـى الكِتابيّةِ، يعني أنّكَ تجرُّ اللُّغة إلى شـكلِهَا الجوّانِي غيرِ المُفصحِ عنـهُ، وتقودُ الفكـرَ الغائمَ أوْ شـتاتَ الذّاكرةِ إلى علامـاتٍ كتابيّةٍ ثابتةٍ، ويشـكّلُ هـذا الثّقلُ تحوّلا يسـتندُ إلى محورينِ: الثّقافةِ والألسـنيّةِ والتّقانةِ والسياسةِ.[٢٨]

تتركُ الكتابةُ أثرَها على النُّصوصِ بفعلِ عاملِ التغيّر، لأنّها تستكشفُ عبرَ الزّمنِ مراحلَ التّطورِ والتّبـدلِ التّي تعتري النّظامَ الصّوتِي قبلَ انتقالِه إلـى حالـةِ الركودِ والثّبـات، وهوَ أمـرٌ تطلّب من أصحابِ الشّأن في القراءاتِ القُرآنية أنْ يُعالجوه، غيرَ أنّ طريقـةَ معالجتِهم خلقتْ نصوصًا رديفةً للنّصّ الأصلي المُوحى بهِ، وهيَ فلسـفةٌ تبريريّةٌ لا تصمـدُ أمـامَ نقدِ الفيلولوجيا الّتي تسـعى إلى الوقوفِ على المراحلِ الأولى لذلكَ النّصّ، حتّى لو أدّى ذلـكَ الصّنيعِ إلى الطّعـن أوْ الضّربِ لبعضِ الثّوابـتِ الّتي تعتقدُ المؤسّسـة الدّينيّـة أصالتَها

(٢٦) يُنظَر: للاسـتزادة الفهرست لابن النديم: محمد بن اسـحاق / دار المعرفة/ بـيروت – ١٩٧٨م: ٧-٩ وصبح الأعـشى في صناعة الإنشـا: أحمد بن علي القلقشـندي: دار الفكر – دمشق/ ط١، ١٩٨تحقيق : د.يوسف علي طويل: ٣/٦-١٧

(٢٧) يُنظَـر: تاريـخ الخطـوط مـن الأنبـاط إلى بدايات الاسلام:١٢٥

(٢٨) يُنظَـر: الأبجديـات الثـلاث: اللغة والعـدد والرمز: كلاريس هيرينشـميت، ترجمـة: د. جمال شـحيد/ هيئة البحرين للثقافة والآثار/ المنامة، ط١/ ٢٠١٦م : ٣١

ونفاذَها في المنظومةِ الفكريةِ والتاريخيةِ.

سادسا: أصالةُ المفردةِ لا تعدّد أوْجِهِ القراءةِ فيها

تعتمدُ السُّلطةُ الدّينيةُ على مبدأ التبريرِ لتغايرِ لفـظِ وتلاوةِ الكلمـات التي تُقرأ بأكثـرَ من وجهٍ، وهـو مبدأٌ ترفضُـهُ الفيلولوجيا ولا تـراهُ حصيفا في توثيقِ النّصوصِ، ولسائلٍ أنْ يسألَ أينَ النّصُّ الأصليُّ من النّصّ المرادف لهُ؟ وللإجابةِ على ذلك يقتضـي التّفتيش بعناصرَ التّبريرِ، الّتي أسّسـت بنيانَها السُّلطةُ المركزيّةُ الّتي أشرفتْ على إخراجِ النّصّ الشّـفاهي مدوّنا ومرقومًـا، وهذا التدوين جعـلَ من تغايـرِ لهجـاتِ العـرب سـبيلا لدفع الاشـكاليات المترتبة على اختـلاف النطق، وهو أمر يمكن قبوله حتى عند الفيلولوجيين أنفسهم؛ لأنهم يعتمدون اختـلاف اللغات وتباين اللهجات مضمـارا لتوثيـق اللغـات علـى اختـلاف درجة التبايـن فيها، إلا أن موردنـا الذي نبغي معالجته يختلـف بعض الشـيء؛ لأنه يعتمـد التنقيط في أغلبه، لا سـيما في الحروف الروادف المتشـابهة رسما والمتباينة إعجامًا، ولذلك لا تجد في كلماتنا المختـارة أي أثر فـي تغاير اللهجـات في نطق تلك الكلمات، بل المـواردُ المُنتقاةُ تخضعُ لنظامِ التّنقيطِ المختلفِ بينَ الحروفِ الرّوادفِ.

١.نَشَزَ – نَشَرَ

وردتْ هذهِ المُفردةُ في قولِه تعالى: ((وانظر إلى العظـام كيف ننشـزها ثم نكسـوها لحما)) (البقـرة/٢٥٩)، وقد قُرِئَـتْ بفونيمينِ مختلفينِ (بالزّاي والرّاء)، فبالزاي قرأَها ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمـزةُ والكِسـائيُّ، أمّـا الباقـون فقـد قرأُوها بالرّاء.[٢٩] لقـد دُوّن المصحفُ بالزّاي دونَ الرّاء، على الرّغم مـن أنّ قراءةَ الرّاء أصـحُّ من النّاحيةِ الفيلولوجيـة، فالنّشـزُ غيرَ النّشـرِ، والإحياءُ غيرَ الرّفعِ، يُقال: نشر اللهُ الميّت ينشرهُ نشرا ونشُورا، والدّليـلُ أنَّ اللهَ قال قبلَهـا: ((أنّى يُحيي هذهِ اللهُ بعدَ موتِهَا)). أمّا نُنْشزُهَا (بالزّاي)، فهي من النّشزِ بمعنى الارتفاعِ، والمعنى: انظرْ إلى العظامِ كيفَ نرفـعُ بعضِها على بعضٍ في التّركيبِ للإحياءِ، أوْ كيفَ نركّـب بعضَها على بعضٍ وننقـلُ ذلكَ إلى مواضع من الجسم.[٣٠]

ترتهـنُ صحّةُ ارتسـامِ بعـضِ المفردات في النُّصـوص الدّينيّـةِ بالسّـياقِ الّذي تـردُ فيه في مواطـنَ مختلفةٍ، فقراءةُ (نَشَـرَ) (بالـرّاء)، أكثرُ حضورا مـن قراءتِها بالـزَّاي أي (نَشَـزَ)، وعليه تكونُ الأولى قرآنا والثانيـة اجتهادا من القراء أو

(٢٩) يُنظَـر: النشر في القراءات العشر: شـمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسـف، المحقق : عـلي محمد الضباع : المطبعـة التجارية الكبرى / بيروت : ٢/٢٣١، والحجة في القراءات السـبع : الحسين بن أحمد بـن خالويـه، أبو عبـد الله، المحقـق: د. عبد العال سـالم مكرم،: دار الشروق – بيروت/ ط٤ ١٤٠١ هـ: ص١٤٤

(٣٠) يُنظَر: تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن: محمـد بن جريـر بن يزيد بـن كثير بن غالـب الآملي، أبو جعفـر الطبري / المحقق: أحمد محمد شـاكر: مؤسسـة الرسـالة/ اط١- ٢٠٠٠ م : ٣/٤٣، وتفسـير القرطبـي الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي/ تحقيق : هشام سمير البخاري: دار عالم الكتب، الرياض، المملكـة العربيـة السـعودية/ اط١: ٢٠٠٣ م: ٣/٢٩٥، والحجة لابن خالويه:١٠٠-١٠١

تصحيفـا في الكتابةِ؛ ولتوثيقِ هـذا القول نفتّشُ عن دلالة (نَشَـرَ) في السّـاميّات، ففـي العبريّةِ: (ن س ر) بالسـين الشـينية، وكذلـك الآراميّـةِ، والسـريانيّةِ: تأتي بمعنى البَسْط، أما (ن ش ز)، بالـزّاي فقد تفرّدتْ بها العربيةُ، وهي تتوارد بينَ النّهـوض والتّركيبِ، وسـوءِ المُصاحبـةِ، وتعني بنحوِ الاجمالِ: البُروزَ والمَصاحبةَ.[٣١] وقد وردتْ فـي القرآن فـي أكثر مـن موضعٍ مشـتبهةً على قرّائِها بأنَّها من النّشـزِ وليسَ النّشـر، مثالُ ذلك قولُـه تعالى: ((يا أيهـا الذين آمنـوا إذا قيل لكم تفسـحوا في المجالس فافسـحوا يفسحِ الله لكم وإذا قيل انشـزوا فانشـزوا يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)) (المجادلة / ١١). فعل الأمر «انشـزوا » مشـتقّةٌ من «نَشَـزَ» وهو المكانُ المرتفعُ، ونَشَزَ تعني ارتفعَ. فمثلًا نقولُ «كان يقفُ على نشزٍ من الأرضِ». ونقولُ «المرأةُ تنشزُ» إذا استعْصَتْ على زوجِهـا.[٣٢] وعليه: تصبحُ كلمةُ «انشـزوا» غريبة جدًا في الآية التي تتحدث عن المجالس. فلا بد أن الكلمة الأصلية كانت (إذا قيل انتشروا فانتشروا) أي تفرقوا من المجلس.

إنَّ مـوردَ الإحيـاءِ التـي تترشّـح دلالتُـه من مادة (نشـر)، يُثبـتُ أصالتُه من النّـصّ القرآني نفسـه، وعند استقراء تواردِ هذه المادّةِ في النّصّ نجدُهـا تأتـي متقابلة مع الإماتة فتكون (نشـر) بمعنـى الإحياءِ بعـدَ الإماتـةِ، مثل قولـه تعالى: ((واتخـذوا مـن دونه آلهة لا يَخلقون شـيئا وهم يُخلَقون ولا يَملكون لأنفسـهم ضـرًا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورا)) (الفرقان/٣)، وقوله تعالى: ((والله الذي أرسـلَ سحابًا فسقناه إلى بلدٍ ميت فأحيَينا بـه الأرضَ بعد موتِها كذلكَ النشور)) (فاطر/٩)، وقوله تعالى: ((والذي نزّلَ من السـماءِ ماءً بقدر فأنشَـرنا به بلدةً ميّتًا كذلك تُخرجون)) (الزخرف/١١).

ومـلاكُ القـولِ: إنّ الأصلَ الواحـدَ في المادّةِ: بسـطٌ بعدَ قبـضٍ، ومن مصاديقِ النّشـر: نشـرُ الموتى وإحياؤهم، نشـرُ الرّضاع، وإنباتُ اللّحمِ، ونشـرُ الرَّاعي وتفريقُ الأغنـامِ، وتفرّق القَوم عن اجتماعِهم، والنّشـر أعمُّ من أنْ يكونَ في ماديّ أوْ معنويّ.[٣٣]

٢. فَتَثَبَّتُوا – فَتَبَيَّنُوا

وردت هـذه المفـردة في قولـه تعالى: ((إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا..... كذلك من قبل فمنّ الله عليكـم فتبينوا)) (النسـاء/٩٤)، وقد وردت في ثلاثة موارد أحدها في سـورة الحجرات، كلها بدلالة التبيين، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف بلفظ (فتثبتـوا)، وقرأها الباقـون بلفظ(فتبينـوا)[٣٤].

(٣١) يُنظَـر: القاموس المقارن لألفـاظ القرآن الكريم: د. خالد إسـماعيل علي/ مؤسسـة البديل/ بـيروت / ط١/ ٢٠٠٩م ٥٢٨ –٥٢٩، ومعجـم المشـترك اللغـوي العربي السامي: د. يحيى عبابنة، وآمنة الزغبي، (د. ط): ٨٥٧

(٣٢) يُنظَر: معجم مقاييس اللغة أبي الحسـين أحمد بن فـارس بن زكَريّـا/ تحقيق : عبد السَّـلام محمد هَارُون: اتحاد الكتاب العرب/ ط١/ ٢٠٠٢م :٥/ ٤٣٠ –٤٣١

(٣٣) يُنظَر: التحقيق في كلمات القرآن، حسن مصطفوي، ط١/ طهران، ١٣٩٣(هـ. ق) : ١٢/ ١٣٣

(٣٤) يُنظَر: النشر:٢/ ٢٥١، والحجة:٢٠٨ –٢٠٩

لقـد اتبع المفسـرون وموجهو القراءات فلسـفة التبرير ذاتها في تماهي المفردتين بصورة كلية، فالتبيين عندهـم هو عينه التثبّـت، قال الطبري: « إنهمـا قراءتـان معروفتـان مسـتفيضتان في قراءة المسـلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهم الألفـاظ؛ لأن المتثبت متبين، والمتبين متثبت.[٣٥] وقـد تابع الطبري أغلب المفسـرين الذين تكلموا عن تغاير الألفاظ رسـما وتماهيها دلالة، غير أن التحقيق فـي أصالة إحدى المفردتين يَسـتدعي التفتيش عنها في سائر اللغويات السامية، بل ربما يُثبت المعجم العربي افتراق الاستعمالين في الآية نفسها.

إن عمليـة تشـكل الدلالـة بنحـو التباين بين المفردتين اللتين شكلهما تشابه رسم الحرف بين (الثـاء والتاء وغيرهما)، أمر تقـوده ابراخيليا[٣٦] القـراءات القرآنية، وهـو إجراء يتصـل بالقبائل الرعويـة التي تتحدث بلهجات مختلفة، وفي ذات الوقت تقرب المسافة بين التنوع اللهجوي واللغة المشـتركة.[٣٧] غيـر أن هذا التقـارب أو التماهي تنسـفه مطالعة الجذر اللغوي لتلكما المفردتين، وهـو أمـر تفرضـه طبيعة اللغـة المشـكلة من أصوات تتشابه في التكوين الرسمي وتختلف في الأداء الصوتـي، فكلمة (بان)، غيـر كلمة (ثبت)، والبـون بينهمـا بقـدر اختـلاف تغايـر الفونيم المتشابه رسما فقط، ف (بان) تجمع في دلالتها بين الوضـوح والتجلي والتفسـير والبيان، وهي لا تختلف في العبرية والأوجاريتية والسـريانية، بـل حتى السـبئية، فالمعنـى العام لذلـك الجذر هو: الفصل والإظهـار.[٣٨]، وهي من (بين)، التي للبيان، والتبيّن: التفعّـل، وهو لمطاوعة التفعيل، يُقـال: علّمته فتعلّم، وبينته فتبيـن.[٣٩]، وهو أمر يقـوم على إزاحة الرماد عن الصورة أو الخبر من خـلال دلالة التبيّن التي يتطلبها التأكد من صحة الوقائع والأحداث.

أمـا (ثبـت)، فدلالتهـا لا تجتمـع مـع دلالـة التبييـن؛ لأن التثبت يسـتدعي الرسـوخ، والدوام في هذا الرسـوخ غير مراحل التبيين التي تتطلب ربما الانتقال من حالة لأخرى بفعل انكشاف الرؤية ووضوحها فيما بعد. فـ(ثَبُتَ)، تعني في المعجم: دام واسـتقرّ، فهـو ثابت،وهـو ضد الـزوال[٤٠]، لذلـك تبقـى المفارقة بيـن الدلالتيـن أن التبين: يسـتدعي التغيّر بفعل اكتشـاف بوادر جديدة أو المطالبة بالبحث عن أدلة أكثر وضوحا، في حين ثبت لدلالـة الفعل (ثبت)، الاسـتقرار على الفعل وديمومته، وهو فرق شاسـع بين التشكيلين وإن

(٣٥) تفسير الطبري:٥/٥٢٥

(٣٦) الإبراخيليـة: هـي نـوع من الجـذف أو الإضمار أو الايجاز في خطاب ما يؤدي إلى تعمد فقدان جزء من النص أو التضحية به في سـبيل تقوية العبارة في سياق نصي ما. يُنظَر: علوم القرآن في الإبستيمية المعاصرة:٤٩٤

(٣٧) يُنظَـر: المخاتلـة الابداعيـة والمتواليـة العجائبية في الكـون والوجـود، د. عمر عبد العزيز/ حـاوره: أ. محمد نعمان الحكيمي/ دائرة الثقافة، الشارقة، ٢٠٢١م : ٤

(٣٨) يُنظَر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم: ٦٧

(٣٩) يُنظَر: التحقيق في كلمات القرآن:١/٣٩٧

(٤٠) يُنظَر: المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعـروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت/ ط١ - ١٤١٢ هـ :٨٣

تشــابه الفونيمــان. ولذلك يرجح البحــث قرآنية (فتبينــوا)، على (فتثبتوا) في قولــه تعالى: ((إن جاءكــم فاســق بنبأ فتبينــوا)) (الحجــرات/٦). للمعطيات المتقدمة.

٣. كبير – كثير

وردت قراءتــان في هاتين الكلمتين، في قوله تعالى: ((يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهمــا أكبر من نفعهما)) (البقــرة/٢١٩). فكلمــة (كبيــر)، قرأهــا حمزة والكســائي بلفظ (كثير)، في حين قرأها الباقون بلفظ (كبير).[٤١] لقد قرأ حمزة والكسائي «كثير» بالثــاء المثلثة، وحجتهما أن النبي صلى الله عليه وســلم لعــن الخمر ولعــن معها عشــرة : بائعها ومبتاعهــا والمشــتراة له وعاصرهــا والمعصورة لــه وســاقيها وشــاربها وحاملهــا والمحمولة له وآكل ثمنهــا. وأيضــا فجمع المنافع يحســن معه جمع الآثام. و «كثيــر» بالثاء المثلثة يعطي ذلك. وقرأ باقــي القراء وجمهور النــاس «كبير» بالباء الموحــدة، وحجتهم أن الذنب في القمار وشــرب الخمر من الكبائر، فوصفــه بالكبير أليق. وأيضا فاتفاقهــم علــى «أكبر» حجــة لــ «كبيــر» بالباء بواحــدة. وأجمعــوا علــى رفــض «أكثــر» بالثاء المثلثــة، إلا في مصحف عبدالله بن مســعود فإن فيــه «قل فيهما إثم كثيــر» «وإثمهما أكثر» بالثاء مثلثة في الحرفين.[٤٢]

والملاحــظ أن مــن قرأهــا بالباء قــدّم تعليلا منطقيــا ولغويا يتعلق ببناء الأشــياء الموصوفة، فالإثــم يوصف بالكبــر وليس بالتكثيــر عندهم، بخــلاف الذنــب، فإنه يصــح وصفــه بالكبير أو الصغير، ومنها كبائر الذنوب وصغائرها.

لقــد رجــح الطبري قراءة (كبيــر)، إذ يقول: «وأولــى القراءتيــن في ذلك بالصــواب قراءة من قرأ (بالباء)؛ لإجماعهــم على قوله (وإثمهما أكبر مــن نفعهما)، وقراءته بالباء فيــه دلالة بينة على أن الــذي وصف به من ذلك الكثرة لقيل (وإثمهما أكثر من نفعهمــا).[٤٣] وقد نظــر الطبري وغيره إلى الســياق الــذي يحكــم المفردة، وهــو أمر لا تســتبعده الفيلولوجيا، ما دامت الكتابات ترتهن بالسياق في أغلبها، فالكتابة تجعل اللغة مرئية.. وإن شــتى الكتابــات تبنــي علاقــة مختلفة بين أشياء العالم وأشــياء اللغة... وإن انتشار الكتابة في منطقة العالم يعبــر عن انزياح تدريجي في الســياق. فمنــذ أن تعــززت وشــائج القربى بين العلامة واللغة والمجتمع تغلغلت الكتابة تدريجيا إلى الســياق وأبرزته، وأظهرت المسافة الفاصلة بين أمور اللغة وأمور العالم.[٤٤]

ومن اســتقراء واقع الساميات ورد جذر كلمة (كبــر)، متوافقا مع الآثام الكبيــرة وغيرها، ففي الصفاوية: بمعنى كبيــر أو عظيم.. وفيها صيغة الجمع وهــي الكبائر أو الذنوب الفاحشــة، كذلك معناها فــي الثمودية والعربية الجنوبية والعبرية

(٤١) يُنظَــر: النشر في القــراءات العشر: ٢/٢٢٧، وحجة القــراءات: عبد الرحمــن بن محمد، أبو زرعــة ابن زنجلة / محقــق الكتاب ومعلق حواشــيه: ســعيد الأفغاني: دار الرسالة/ بيروت :١٩٦

(٤٢) يُنظَــر: تفســير القرطبــي: ٣/٥٢، ومعاني القرآن واعرابه للزجاج: ١/٢٩٢

(٤٣) تفسير الطبري:٢/٣٦٠

(٤٤) يُنظَر: الأبجديــات الثلاث: اللغة والعدد والرمز: ٣٦ _ ٣٧

والسـريانية والنبطية والأكاديـة والأثيوبية، فكل معانيها تدل على العِظم والزيادة.[٤٥]

إن اجتمـاع هـذه القرائن (سـياقية ولغوية)، تؤكد أن أصالـة قرآنية الكلمة هي (كبير)، وليس (كثير)، غير أن كثيرا من القراء اختاروا الكلمتين وبدأوا يُثقلون النصـوص بالتأويلات التي تتلاءم وطبيعة التـرف اللغوي، فضـاع بذلك تحديد أي المفردتين قرآن وأيهما قراءة.

٤. تبلو – تتلو

هـذه الكلمـةُ قُرئـت بفونيميـن مختلفين في قوله تعالى: ((هنالك تبلوا كل نفس ما أسـلفت)) (يونس/ ٣٠)، فقرأها حمزة والكسائي وخلف بلفظ (تتلو)، وقرأها الباقون بلفظ (تبلو).[٤٦] بين التاء والباء تشـابه كبير حتى فـي النبطية التي أخذت العربية منها رسـم حروفها، فقد مُيّزَ حرف التاء في النصوص النقشية أو النسخية العربية المبكرة بنقطتين اصطفتا بشكل عمودي أو بشكل قطري فـوق أو بجانب السـن في النصـوص، بينما في بعـض النقوش وضعت بشـكل أفقـي، في حين استبدلت نقاط التاء بشرطات صغيرة في نقوش أخرى، فقد اشتقت التاء العربية من التاء النبطية القصيرة وكتبت بحركة واحدة.[٤٧] وهذا التقارب بين التاء والبـاء أتاح صيرورتها بشـكل متعدد. أمـا الباء فإن أول تنقيط ظهر له في مواقعه التي وجدت على النقوش، وهذه المواقع هي التوسـط والاتصـال يمينـا ويسـارا، وقد أُنقـطَ مرة تحت الحـرف ذي الرأس الحاد، بينما فيما بعد ابتدعت نقطة بيضاوية بقطع القلم المستدق.[٤٨]

بيـن الابتـلاء والتلاوة ثمة فارق كبير وتشـظٍ بالدلالة، فلا يمكن أن يكون بينهما جامع مشترك، والـذي يذهـب إليه البحث أن رسـم تبلـو قرآنيٌّ بينما تتلـو تصحيف في توارد اللفظة ورسـمها لا سـيما أن بين التاء والباء قربا في رسـم التقعر الخاص بالحرف ويفترقان بإعجامهما. والغريب أن أربـاب المعاجم يوحدون بيـن البلاء والابتلاء، وكلاهما له مـورده وظرفه، فالبلاء – في العادة- يكون عقوبة على فعل شـيء قبيح أو ارتكاب إثم عظيم، بينما الابتلاء يكـون في الحب والعتب من الله تعالى.

وفي ضوء ما تقدم يرجح البحث رسم الكلمة بالباء بدلا مـن قراءتها بالتاء، لأن السـياق يدعم تشـكل الصـورة الهيكليـة للحـرف، بمعنى: أن النفـوس تتحول وتتقلب، وهذا التحول يسـتدعي منهـا أن تفصـح وتبلي عن مكنونها وأسـرارها، والسياق يشفع لهذا الرسم دون غيره.

٥. أشاء – أساء

ورد الفعـلان فـي قوله تعالـى: ((قال عذابي أصيب به من أشاء)) (الأعراف/١٥٦)، بقراءتين مختلفتيـن بيـن السـين والشـين، وكلاهمـا من الحروف المتشابهة شـكلا والمختلفة نطقا. فقد وردت الكلمة بالشين مرسومة بالمصحف، بينما قرأها الحسـن وطاووس وعمرو بن فائد بالسين

(٤٥) يُنظَـر: معجـم المشـترك اللغوي العربي السـامي: ٧٤٢، والقاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم: ٤٤٩

(٤٦) يُنظَر: النشر: ٢/ ٢٨٣، والحجة لابن خالويه:١٨١

(٤٧) يُنظَر: تاريخ الحطوط والكتابة النبطية...: ٦٨ – ٧٠

(٤٨) يُنظَر: المصدر نفسه: ٦٦

مـن (أسـاء)، (فبالشـين)، تعني: أن لله مشـيئة إلهيـة مطلقـة هـي المتحكمة في أحـوال الناس ومصائرهـم، لا سـيما المتعلـق بإنـزال العقوبة والعـذاب، وأمام هذه المشـيئة يتسـاوى المؤمن والفاجر. أما قراءتها (بالسـين)، فهي من الإساءة المسـندة إلى المسـيء الذي يسـتحق عذاب الله وعقوبتـه تحقيقا لمبدأ العدالـة الإلهية. وقد اتهم أرباب الصنعة من المفسرين والقراء قارئي هذا الآية بالانحـراف، رغم توجيـه المعتزلة لهـذه القراءة بتوجيهيـن: أحدهما: إنفاذ الوعيـد، والآخر: خلق المرء أفعاله، وإن أسـاء لا فعل فيـه لله.[٤٩] وفي ظنّـي أن المسـألة لا تحتـاج إلـى إثبـات أصالة المشـيئة أو الإسـاءة إلى كبير نظر، بل السـياق حاكم وكاشـف عـن أصالة لفظة الإسـاءة قرآنيا وعـد المشـيئة (أشـاء)، دخيلة في هـذا المورد؛ لأن مَـن يتّصف بالحكمـة يمتنع عقلا عن تعذيب المحسنين، فالعذاب ينحصر بالمسيئين فحسب.

قـال أبـو الفتح: هـذه القراءة أشـد إفصاحًا بالعـدل مـن القـراءة الفاشـية التـي هـي: «مَن أشاء»؛ لأن العذاب في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له، وهو الإسـاءة، والقراءة الفاشية لا يُتنـاول مـن ظاهرها علة إصابة العـذاب له، وأن ذلك لشـيء يرجع إلى الإنسان، وإن كنا قد أحطنا علمًـا بأن الله تعالى لا يظلم عباده، وأنه لا يعذب أحدًا منهم إلا بما جناه واجترمه على نفسه، إلا أنا لـم نعلم ذلك من هذه الآيـة؛ بل من أماكن غيرها. وظاهر قوله تعالى: {مَنْ أَشَـاء} بالشين معجمة ربمـا أوهم من يضعف نظره مـن المخالفين أنه يعذب من يشاء من عباده، أساء أو لم يسئ، نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله.[٥٠]

وشـبيه ما تقـدّم أيضا هنالـك أكثر من مورد تعاقبت فيه السين والشين بين الأصالة والإلحاق بالتبعيـة، فقـد وردت كلمـة (يُسـيّركم)، بلفظ (ينشـركم) فـي سـورة يونـس/٢٢، وكذلـك الإختلاف بين فونيم (الباء) و (النون)، في مفردة (بُشـرا) و (نُشـرا)، مـن سـورة الفرقـان/٤٨، وسورة النمل/٦٣.

٦. أوريكم – أورّثكم

في هاتين الكلمتين زيادتان واضحتان، الأولى: الواو بعد الهمزة، والثانية: استبدال فونيم (الياء)، بدلا عـن الثاء. في قوله تعالى: ((سـأُوريكم دار الفاسـقين)) (الأعـراف/ ١٤٥)، ونتيجـة لتلـك الزيـادة تولّـدت دلالتان في الآيـة، الأولى: تتعلق بالرؤية، والأخـرى: تتعلق بالتوريث. فقد قرأ ابن عباس وقسـامة بن زهير بالثاء، أي (سأورثكم)، وقرأ الباقون (سأوريكم)، بالياء.[٥١] والمعنى هنا لا يسـتقيم إطلاقًا إذ أن اللـه كان قد وعد إبراهيم تمليكه أرض كنعان له ولأحفاده إلى يوم القيامة. فاسـتبدل ناسـخو القرآن كلمة (سأورثكم) غير المنقطة، بكلمة (سـأوريكم)، فالتبس الأمر على

(٤٩) يُنظَـر: المحـرر الوجيز في تفسـير الكتـاب العزيز: ٤٦١/٢

(٥٠) يُنظَر: المحتسـب في تبيين وجوه شواذ القراءات، أبو الفتح عثمان بن جنـي الموصلي / وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: ط١/ ١٩٩٩م :١/ ٢٦١

(٥١) مختـصر في شـواذ القرآن مـن كتاب البديـع، ابن خالويه/ مكتبة المتنبي/ القاهرة/ ط٢ – ١٩٨٦م :٥١

القرّاء، فتصبح الآية (سأورثكم ديار الفاسقين). وهذا المعنى أكثر ملاءمةً لوعد الله لإبراهيم من أنه سوف يعطيه أرض كنعان له ولأحفاده إلى يوم يبعثون. والقرآن نفسه يقول في آية أخرى: ((ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض فنجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين)) (القصص/ ٥).

قال الرازي: «وأما قوله (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)، ففيه وجهان، الأول:أن المراد التهديد والوعيد على مخالفة أمر الله تعالى وعلى هذا التقدير فيه وجهان، الأول: قال ابن عباس والحسن ومجاهد دار الفاسقين هي جهنم، أي فليكن ذكر جهنم حاضرًا في خاطركم لتحذروا أن تكونوا منهم. والثاني: قال قتادة سأدخلكم الشام وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متوطنين فيها من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها وما صاروا إليه من النكال. وقال الكلبي دَارَ الْفَاسِقِينَ هي المساكن التي كانوا يمرون عليها إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله تعالى. والقول الثاني: أن المراد الوعد والبشارة بأنه تعالى سيورثهم أرض أعدائهم وديارهم.[٥٢]

إن انتقال الدلالة بفعل تغاير فونيم الثاء إلى الياء، صيّر المعنى من أن تكون دار الفاسدين والكافرين عِبرةً لمن يمرّ بها ويشاهدها، إلى الدلالة على أن تغدو هذه الديار ملكا لهم ووراثة، فصحّت الرواية بالثاء قرآنيا على المرسوم القرآني بالياء.

(٥٢) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) محمد بن عمر/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت – لبنان (د. ت): ١٤/ ١٩٣

٧.عزّرَوهُ- عزّزُوهُ

تلجأ الفيلولوجيا إلى الوثائق النصيّة لتقابلَ بين النصوص؛ كي تصل إلى وقائع الأشياء وحقائقها، ولعل في مخطوطات القرآن الخمسة أو الستة ما يسعف غاية الفيلولوجي في التوصل للمفردة وآلية رسمها وسبب اختلافه، وهي مخطوطات نُسجت على منوال مصحف عثمان، الذي عده بلاشير هتكا للقدسيات؛ لأنه رغب في إحلال نص ثابت واحد اختاره بمفرده على جميع المصاحف المدونة عن لسان النبي إلى صحابته في حياته (ﷺ).[٥٣] وهذه الكلمة (عززوه) وردت بالراء والزاي، فقد قرأها الجماعة «عزّروه»، بزاء مشدّدة بعدها (راء)، وقرأ عاصم و الجحدري وقتادة وسليمان التميمي وعيسى بن عمر وأبان وابن نبهان وأبو عمارة.. كلهم عن أبي بكر عن عاصم (عَـزَروه) بالتخفيف. و قرأ جعفر بن محمد «وعَزّزوه» بزاءين معجمتين.[٥٤] وقد ورد في لسان العرب القول باللفظين معجما وغير معجم، فقد أورد ابن منظور دلالة (عزر)، بقوله: «العَـزْر اللَّوْم وعَـزَرهُ يَعْـزِره عَزْرًا وعَـزَّره رده والعَزْرُ والتَّعْزِيـرُ ضرب دون الحدّ لِمَنْعِه الجانِيَ من المُعاودَة ورَدْعِه عـن المعصية»[٥٥] وقد تأتي بمعنى الاشتباك و التأييد والمعاونة، كما وردت

(٥٣) يُنظَر: القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره، بلاشير، ترجمة: رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، (د.ت) : ٣١

(٥٤) يُنظَر: البحر المحيط:٤/ ٤٠٤، والدر المصون:٣/ ٣٥٥، والمحتسب:١/ ٢٦١، والكشاف:١/ ٥٨١

(٥٥) لسان العرب:٤/ ٥٦١

في الساميات من أخوات العربية، ففي السريانية: «ع ز ر»، بمعنى مشتبك، وفي العبرية والآرامية بمعنى: التأييد والمعاونة.[٥٦]. إن إجراء عملية التنقيط للكلمة تفصح عن مكانها وسياقها، لا سيما بعد ورودها بزاءين في مخطوطة باريس[٥٧]، لقد وقع الخلاف بين المفسرين في إمكان اختيار أحد الفونيمين بدل الآخر، ولعل سلطة القراءة الواردة في التراث هي من أحكمت قبضتها على تثبيت (الراء)، بدلا عن (الزاي)؛ لآن معظم المفسرين يتعبدون بهذه القراءات حتى لو تيقنوا بمخالفتها للسياق العام. وإذا ما أعدنا تنقيط الكلمة لتصبح أكثر تعبيرا عن المراد من نصرة رسول الله، وتعزيز قوّته، فنقول:«وعـزّزوه»، أي: عززت القوم وأعززتهم وعزّزتهم: قويتهم وشددتهم. بينما تحمل كلمة «عـزروه»، معنيين متناقضين: اللوم والنصرة، لاسيما أن كلمة «نصروه» تلت «وعزروه».[٥٨]، ويخلص البحث إلى أصالة الزاي في «عـززوه» بدلا عن «عـزروه» فتكون الأولى ثابت قرآني، والأخرى اجتهاد متمحل ومتكلف على اللغة والذوق والسياق. فالعزة: تعني القوة والثبات والصلابة، وهو مورد متفق عليه حتى في الساميات المندرسة. إن كتابة الصوامت في الساميات عموما، ترتبط في الغالب بالكلمة التابعة للجذر اللغوي، أعني وحدة المعنى اللغوية، وكلها يتم تقديمها كلغز ينبغي حلّه على القارئ المتمكن من المعجم، وبنية اللغة، وفحوى النص نوعا ما[٥٩].

لا يقتصرُ البحثُ على هذهِ المُفرداتِ، بلْ أنَّ هناكَ كلماتٍ كثيرةً ومتنوعةً حملتْ المُشْكِلَ الفيلُولُوجي ذاتَه، لكنّنَا لمْ نعثرْ على قراءةٍ ثنائيّةٍ أوْ تغايرٍ في الفونيمات الّتي تعطي تغايرًا في المعاني، إنَّ الإشكاليةَ الكُبرى الّتي تعترضُ هذا النوع من البحوث تقوم على أساس أن النص القرآني قد ثبُت إخراجه بصورة نهائية بواسطة التوارد الشفوي له، وهو صنيع ربما أنقذ نفاذ كثير من المفردات بصورة مقبولة، وقراءتها بصورة سليمة وصحيحة، لا سيما المفردات التي رُسِمت بصورة تغاير طبيعة نطقها؛ بسبب تداخل أنظمة الخطوط المختلفة إبّان تدوين النص وإخراجه، غير أن هذه النطقيات الشفوية شاركت هي الأخرى بتفضيل نمط كتابي على آخر دون أن يكون هنالك مسوغ لتلك القراءة على أخواتها، رغم القيود التي وضعها أرباب ذلك الفن، لقد انتهجت الفيلولوجيا آليات متنوعة للوقوف على أصالة الكلمات وتثبيت جملة منها لمعطيات رأت أنها تقترب من الحقيقة بعيدا عن إكليروس التراث وما ترشح عنه من تقديس وإطراء، ولعل في مقدمة تلك الآليات كان: الشك المنهجي،

(٥٦) يُنظَر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن:٣٥٢

(٥٧) محطوط باريس: مخطوطة في المكتبة الوطنية الفرنسية، وهب مرسومة بالخط الحجازي المائل، يرجع تاريخها إلى الربع الثالث من القرن السابع الميلادي، تحتوي على سبعين رقعة، وتنتمي هذه المخطوطة إلى مصحف باريسنو- بتروبوليتانس.

(٥٨) يُنظَر: مخطوطات القرآن مدخل لدراسة المخطوطات القديمة، محمد المسيح/ وتر لايف للمطبوعات/ فرنسا- ط١/ ٢٠١٧م :٢٦٤

(٥٩) يُنظَر: الأبجديات الثلاث: ٥٤.

وهــو مبــدأ ديكارتي، تأســس على فكــرة أن كل الأشــياء الواردة إلينا لا يمكن اختبار صدقها دون التشكيك في موردها وصحة وقوعها، فالشك كما يقولون: أوّل باب الإيمان. ثم انتهجت الفيلولوجيا باب المقابلة والمطابقة، وهو صنيع ربما يصعب مع النص القرآني؛ لأن المؤسسة الدينية ألغت جميع الوثائــق النصيــة المدونــة التــي تســمح بإجراء مشروع المقابلة ثم المطابقة مع السياق والواقع وبقية المعطيات، فكانــت الآلية الثالثة التي هي: الاسترجاع كاشــفا حقيقيا عن موارد الصحة في نمط الرســم الذي اخرجته السلطة الأولى القائمة على تدوينه، مســتعينة بأركيلوجيــا اللُّغات الّتي تنتمــي إلــى الأرومــة نفسها(الســاميات)، فضلا عن اعتمــاد مصاحف تم تدوينها بعصور مقاربة للمصحــف الإمام أمثال مصحــف (طوب قابي)، ويُعد أقــدم مخطوطة قريبة من مصحف عثمان، ثــم بقية النســخ مــن المخطوطــات، كمخطوط طشقند وباريس وغيرهم.

النّتائجُ

• عمدَ البّحثُ إلى اختراقِ منظوماتٍ تتّسمُ عندَ مَنْ يؤمنُ بها إيمانًــا مطلقًا أنَّها ثابتةٌ ومطلقةٌ؛ بفعلِ ارتباطِها بمنظومةٍ شــرعيّةٍ رســمتْ هذا الإطلاقَ والتّعميةَ، مثلُ القراءة وسُلطة الرّسمِ القرآنيّ.

• الانفلاتُ من هيمنةِ الموجّهاتِ القِرائيةِ والرّسميّةِ (رســم المصحف)، يتطلّبُ منهجًا علميًّا حصيفًا، يرســمُ ملامحَ الاختــراقِ، ويحــدّدُ مواطــنَ القوّةِ والضّعــفِ، فكانــتِ الفيلولوجيا أقــربَ المناهجِ لتوظيفِهَا في معالجةِ هذا المُشْكلِ الإبستيمي.

المصادر والمراجع

- الــدر المصون في علوم الكتــاب المكنون:أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالســمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـــ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط - دار القلم، دمشق (د.ت).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بــن عمــرو بن أحمد، الزمخشــري جــار اللــه (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت/ط٣- ١٤٠٧هـ
- لســان العرب:محمــد بــن مكــرم بن منظــور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١/ ٢٠٠٢م.
- مخطوطات- القرآن- مدخل- لدراسة- المخطوطات- القديمة،- محمد- المسيح/- وتر لايف- للمطبوعات/- فرنسا- ط١/ ٢٠١٧م.
- الأصــول دراســة ابســتمولوجية للفكــر اللغوي عند العرب –د. تمام حسان/ عالم الكتب، القاهرة- ٢٠٠٠م
- تاريــخ وعقائد الكتــاب المقدس بين إشــكالية التقنين والتقديس، دراســة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المســيحي، د. يوسف الكلام – دار صفحات/ دمشق سورية/ط١/ ٢٠٠٩م
- النثــر الفني في القــرن الرابع الهجــري (زكي مبارك) مؤسسة هنداوي/ المملكة المتحدة/ ٢٠١٣م
- منجــد المقرئيــن ومرشــد الطالبين، شــمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بنمحمد بن يوســف، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩.
- قــراءات فــي القرآن،محمــد آركــون - ترجمة : هاشــم

صالح، دار الساقي/بيروت – لبنان/ ط١ /٢٠١٧م٠
- القـرآن ككتاب مقـدس، آرثر جيفـري، ترجمة:د. نبيل قياض – دار أبكالو/بغداد – ط١/ ٢٠١٨م
- منجـد المقرئيـن ومرشـد الطالبيـن شـمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ /دار الكتب العلمية/ ط١، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م
- البرهـان فيعلوم القرآن،محمد بـن بهادر بن عبد الله الزركشـي أبو عبد اللـه/ دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١/ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.
- اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، د. مصطفى غلفان- دار الكتاب الجديد،/ ٢٠١٣م
- مقدمـة ابن خلـدون: عبـد الرحمن بن خلـدون /دار الفكر– بيروت/٢٠٠١م
- البيـان والتبييـن أبـو عثمان عمرو بن بحـر الجاحظ: تحقيق وشـرح: عبد السـلام هارون/مكتبة الخانجي– القاهرة- ط٧، ١٩٨٨م
- مبـدأ ظهور الحـروف العربية وتطورهـا لغاية القرن الأول الهجـري. أسـامه ناصـر، مجلـة المـورد، عـدد ٤/ ١٩٨٦
- الطـراز في شـرح ضبط الخراز، محمـد بن عبد الله التنسـي/تحقيق: د. أحمـد بـن أحمد شرشـال/مجمع الملك فهد للطباعة – ط١/ ١٤٢٠هـ
- دليل الحيران على مورد الظمآن: أبو إسـحاق إبراهيم بـن أحمد بن سـليمان المارغنـي التونسـي المالك-: دار الحديث- القاهرة
- تاريـخ الخطـوط والكتابـة العربية مـن الأنباط إلى بدايات الإسـلام: بياتـرس جرندلر/ ترجمة: د. سـلطان المعاني، و د. فردوس العجلوني، الأردن/ ٢٠٠٤م
- مجلـة المكتبة العربيـة، ٢٤، عدد ١/ ٦٣، المورد، ٣٩، عدد ٤/ ٨٦.
- اللحـن في اللغـة العربية تاريـخ وأثر. مجلـة المورد: عدد٤/ ٨٦
- نظريات العلوم الإنسـانية، جوليـان فروند – ترجمة: أميـرة مطـر و أنور مغيـث/ المركز القومـي للترجمة- القاهرة/ ٢٠٠٦م
- السـبعة فـي القـراءات: أحمد بن موسـى بـن العباس التميمي، أبو بكـر بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شـوقي ضيف : دار المعارف – مصر/ط٢، ١٤٠٠هـ
- المفصـل في تاريخ العرب قبل الإسـلام: د. جواد علي، دار الساقي/ط٤/ ٢٠٠١
- مبـدأ ظهـور الحـروف العربية وتطورهـا. بحث مجلة المورد:ع ٤/ ١٩٨٦
- القـرآن ونقـوش اليمـن مقاربـات جديـدة: مجمـوع مؤلفين/ترجمـة: محمد عطيـوش – دار الرافدين/ ط١ – ٢٠٢٣
- علوم القرآن في الابسـتيمية المعاصرة مقاربة تفكيكية نقدية: إشراف: بسـام الجمل/ مؤمنون بلا حدود/لبنان – بيروت/ ط١ / ٢٠١٨م
- الفهرست لابن النديم: محمد بن اسحاق/ دار المعرفة/ بيروت – ١٩٧٨م
- وصبـح الأعشـى فـي صناعة الإنشـاء: أحمـد بن علي القلقشندي: دار الفكر – دمشق ط١،١٩٨تحقيق: د.يوسف علي طويل
- الأبجديـات الثـلاث: اللغـة والعـدد والرمـز: كلاريـس هيرينشميت، ترجمة: د. جمال شحيد/هيئة البحرين للثقافة والآثار/ المنامة، ط١/ ٢٠١٦م
- النشـر في القراءات العشـر: شـمس الدين أبـو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسـف، المحقق : علي محمد الضباع : المطبعة التجارية الكبرى/بيروت
- الحجـة فـي القراءات السـبع : الحسـين بـن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، المحقق: د. عبد العال سـالم مكرم،: دار الشروق – بيروت/ط٤، ١٤٠١هـ
- تفسـير الطبري جامع البيان فـي تأويل القرآن: محمد بـن جرير بن يزيد بـن كثير بن غالب الآملـي، أبو جعفر الطبري/المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة/ اط١- ٢٠٠٠م

- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي/ تحقيق : هشام سمير البخاري: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية/ ط١: ٢٠٠٣م
- القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم: د. خالد إسماعيل علي/مؤسسة البديل/ بيروت/ط١/ ٢٠٠٩م
- معجم المشترك اللغوي العربي السامي: د. يحيى عبابنة، وآمنة الزغبي، (د.ط)
- معجم مقاييس اللغة أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا/تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون: اتحاد الكتاب العرب/ط١/ ٢٠٠٢م.
- التحقيق في كلمات القرآن، حسن مصطفوي، ط١ / طهران، ١٣٩٣(هـ .ق).
- المخاتلة الابداعية والمتوالية العجائبية في الكون والوجود، د. عمر عبد العزيز/ حاوره: أ. محمد نعمان الحكيمي/دائرة الثقافة، الشارقة، ٢٠٢١م
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت/ط١ - ١٤١٢هـ
- حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة/ محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني: دار الرسالة/ بيروت.
- معاني القرآن واعرابه للزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى:٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٩٨٨م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد/دار الكتب العلمية/١٩٩٣م لبنان
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي/وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: ط١/١٩٩٩م.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه/ مكتبة المتنبي/القاهرة/ط٢ - ١٩٨٦م
- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) محمد بن عمر/ دار إحياء التراث العربي/بيروت - لبنان (د. ت)
- القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره، بلاشير، ترجمة: رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، (د.ت)
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل/دار الفكر - بيروت/ط١:١٤٢٠ هـ .